بحوث في اللغة العربية وآدابها: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ١١ (خريف وشتاء ١٤٣٦هـ. ق/ ١٣٩٣ هـ. ش)، ص ٣ ـ ٢٤

منهج تعامل شراح المعلقات مع الشواهد في شروحهم[١]

سيدمحمدرضا ابن‌الرسول*
سميه حسنعليان**

الملخص

نظرا لدور الشاهد في العلوم اللغوية والأدبية ولأهمية المعلقات في الأدب العربي وأهمية شروح هذه القصائد النفيسة، يستهدف هذا البحث إلى استخلاص المنهج الذي تميّز به شراح المعلقات في التعامل مع الشاهد بأنواعه المختلفة من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر، والمثل، مستخدما المنهج الوصفي ـ التحليلي، قائما على بيان نوع الشواهد وكميتها.

وقد اتّضح من البحث أن الشراح اهتمّوا بالشاهد اهتماما بالغا وتميّز منهجهم في شروحهم بالإكثار من الشواهد وكانت هذه الشواهد للأغراض المختلفة، منها: شرح الألفاظ الصعبة، تأكيد المعنى، توضيح قضية نحوية أو صرفية، بيان مسألة بلاغية، الإشارة إلى قضايا صوتية وعروضية.

الكلمات المفتاحية: المنهج، شروح المعلقات، الشيباني، النحاس، الزوزني، التبريزي، الشواهد.

١ـ المقدمة:

في الحقيقة للشعر الجاهلي عامة وللمعلقات خاصة مكانة مرموقة بين ما أُثر من أدب العرب طوال حياتهم التاريخية، منذ ذلك الزمن البعيد الذي عاشوا في حدود الجزيرة العربية إلى العصور التي انتشروا فيها حاملين مشاعل الإسلام في مختلف بقاع الأرض.

وما من عصر من عصور التاريخ الطويلة التي عاشت فيها الأمّة العربية إلا وبرزت فيه العناية الواضحة بالشعر الجاهلي والمعلقات بروزاً واضحاً، كأنهم ورثوا طبيعة الحرص على هذا التراث. وذلك لأن الشعر الجاهلي يعدّ أهمّ مصدر من المصادر التي

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٩٢/٨/١١هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٣/٣/٣١هـ. ش. وما يجدر ذكره أن المقالة جزء من مشروع جامعي بجامعة أصفهان قسم اللغة العربية وآدابها بعنوان: تجميع ومقارنة الشروح القديمة للمعلقات، برقم: ٩٢٠٦١٢.

* أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بجامعة إصفهان. Email: ibnorrasool@yahoo
** أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة إصفهان. Email: shassanalian@yahoo.com

يستمدّ منها الباحثون في دراسة تاريخ هذه الأمة وحضارتها ولذلك عني الباحثون في الأدب العربي والمشغوفون بها في البلاد العربية وغيرها بدراسة هذا الأدب.

هذا من جهة ومن جهة أخرى إن الشعر كان يحتلّ مكانة مرموقة بين الناس وأصبح الشاعر جزءا مهما في نظام القبيلة يمجّد بطولاتها ويصور آمالها ويفخر بمآثرها. ولّما كانت المعلقات ـ بوصفها جزءاً من هذا الميراث القيّم ـ هي "**الصورة الأخيرة التي انتهت إليها تجارب الجاهليين في التعبير الشعري ولذلك فاقت شهرتها شهرة ما سواها من الشعر الجاهلي، بل الشعر العربي على الإطلاق وأصبح لأصحابها من الذكر في تاريخ الأدب العربي ما لم يظفر به غيرهم من الشهرة وذيوع الصيت ومن الممكن اعتبار تلك الصورة التي وصلت بها إلينا المعلقات الصورة الكاملة للشعر العربي بما اجتمع لها من حسن الوزن وجودة القافية، وقوة المعاني، وجزالة الألفاظ، ومتانة الصياغة**" (طبانة، ١٩٥٨م، ص ٥)، فلا شك أن العلماء والأدباء اهتموا بها واستشهدوا بها في مؤلفاتهم الأدبية، والتاريخية، والبلاغية، والنحوية، والتفسيرية، كما أنّ أثر المعلقات في النحو لا يقلّ عنه في التفسير؛ «**فقد حظيت هذه القصائد بجهود النحاة قديماً وحديثاً فكثرت الشواهد النحوية من شعر المعلقات وخاصة إذا اعتمدت بروياتها المختلفة ولبعض هذه الشواهد أثر كبير في تثبيت القاعدة النحوية ولا سيّما القواعد التي انفردت شواهد المعلّقات دون سواها في تثبيتها**» (دويكات، ٢٠٠٠م، ص ١٤).

ولا يخامرنا شك أن هناك أسباباً مهّدت لنشأة شروح الشعر عامة والمعلقات خاصة، منها: سبب تاريخي، وسبب لغوي، وسبب عاطفي.

ومن أهم هذه الشروح القديمة شرح القصائد التسع المنسوب إلى أبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦هـ)، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، وشرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات لأبي جعفر النحاس (ت ٣٣٨هـ)، وشرح المعلقات السبع للزّوزني (ت ٤٨٦هـ)، وشرح المعلقات العشر للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ).

استشهد هؤلاء الشراح بكثير من الشواهد المختلفة لشرحهم هذه القصائد حتى أنه من السمات البارزة لمنهجهم في شرح المعلقات اهتمامهم بالشواهد من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي والأمثال وهذا ما يدلّنا على سعة اطلاعهم باللغة العربية، فكان من الأهمية بمكان تسليط الضوء على طبيعة هذه الشواهد ودراستها.

وبما أن الباحثين درسا منهج تعامل ابن الأنباري في كتابه المذكور مع الشواهد المختلفة في مقالة أخرى وضعا هذا الشرح على جانب واهتما بالشروح الأربعة المذكورة.

ومن أهمّ الأهداف التي تقصد المقالة تحقيقها دراسة منهج تعامل شراح المعلقات مع الشواهد في شروح المعلقات، وكمية الشواهد في كتبهم وكيفيتها. والمنهج الذي يتبعه البحث هو التوصيفي ـ التحليلي لدراسة الشواهد في شروح المعلقات.

ولا يفوتنا الذكر بأنه بالنسبة إلى دراسة الشواهد في كتب أدبية ولغوية مختلفة فهناك مقالات وكتب قيّمة، ولكن بالنسبة إلى منهج شراح المعلقات في تعاملهم مع الشواهد لا نكاد نجد بحثا شاملا وافيا للموضوع.

٢ـ الشاهد لغة واصطلاحا

لا يخامرُنا شك في مكانة الشاهد في العلوم العربية والإسلامية؛ وذلك أن الشاهد يُعدّ هو العصب لها في مرحلة التنظير، وهو المادة في مرحلة التطبيق، كما أنه هو العنصر الأساسي الذي تقعدت بناءً عليه قواعد اللغة وتراكيبها وتعبيراتها. والشواهد لا يقف تأثيرها عند هذا الحد بل إنها لتكوّن في مجموعها تراثًا حضاريًا للأمة لا يمكن التفريط فيه فضلاً عن تجاهله؛ لأنه مرتبط بثقافة هذه

الأمة «**ارتباطًا وثيقًا منذ وقت مبكر من تاريخها، لما يختزنه من موروث ثقافي وحضاري في حياة العربي، ولما له من أثر كبير في تكوينه الأدبي والمعرفي، حتى غدا ثابتًا من أهم ثوابتها**» (العطوي، ١٤٢٥هـ، ص ٦).

ويعتقد الدكتور إميل بديع يعقوب بأنها تشكل قسمًا مهمًا من تراثنا اللغوي عامة وهي فضلا عن ذلك تؤلف جزءًا مهمًا من تراثنا الأدبي والحضاري (بديع يعقوب، ١٩٩٢م، ص ٥). وإن البحث في شواهد الشروح بما هو عليه من قيمة وضرورة هو في الحقيقة فرصة للتأمل في متون هذه الشروح ومنهجية هذه الكتب في الإتيان بها.

أما البحث في اصطلاح الشاهد فمرهون ببحث مادته في المستوى اللغوي والاصطلاحي. ففي المجال اللغوي وبالرجوع إلى مادة «شهد» في المعاجم اللغوية نلاحظ له مدلولات مختلفة نشير إلى بعضها:

> **يقال: شهد فلانٌ على فلان بحق فهو شاهد و شهيد ... والمُشاهَدَة: المُعايَنَة، وشَهِدَه شُهوداً أي أَحْضَرَه فهو شاهدٌ وقوم شُهودٌ أي حضور ... وشَهِدَ له بكذا شهادة أي أدى ما عنده من الشهادة فهو شاهد والجمع شَهْدٌ ... وجمع الشَّهْد شُهودٌ وأَشْهادٌ ... وقال أبوعمرو: أَشهَدَ الغُلامُ إذا أَمْدى وأَدْرَكَ وأَشْهَدَتِ الجاريةُ إذا حاضت ... ومرأة مُشْهِدٌ بغير هاء: حضَر زوجُها وامْرَأة مُغيبة: غاب عنها زوجُها** (ابن منظور، «ش‌ه‌د»).

وأما في الاصطلاح فالشاهد «**عند أهل العربية الجزئيّ الذي يستشهد به في إثبات القاعدة لكون الجزئي من التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم وهو أخص من المثال**» (التهانوي، ١٩٦٣م، ج ٣، ص ٧٧٨).

ويعرّف عمر مختار الشاهد بقوله: «**استشهد في مسألة نحوية ببيت من الشعر أو بآية أتى به أو بها شاهداً أو دليلاً على رأيه في المسألة، والشاهد هو البرهان على صحة القول وذلك بآية أو ببيت من الشعر وهو كالمثال غير أن المثال يؤتى به لإيضاح القاعدة وليس لإثباتها والجمع شواهد وشهود وأشهاد والشاهد في العبارة هو محط الغرض المقصود منها ويقال: هذا هو محط الشاهد**» (سعيد الكرمي، ١٩٩١م، ص ٥٠٧).

ثمة بعض المصطلحات التي تقرب من الشاهد كالاستشهاد، والبرهان، والدليل، والحجة. وتنامت دلالات الشاهد الاصطلاحية باعتبار سياق الشاهد حتى نلاحظ أنه يرادف الشرح والتفسير، روى السيوطي في *الإتقان* عن أبي عبيد في فضائله قال: «**حدّثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسدل عن القرآن فينشد فيه الشعر. قال أبو عبيد: يعني كان يستشهد به على التفسير**» (السيوطي، ١٩٨٨م، ج ٢، ص ٥٥). ولهذا كله لم يجد المؤلفون حرجاً في استعمالهم جميعا بنفس المعنى ولا في اعتبار بعضها مرادفا لبعض.

٣ـ منهج تعامل شراح المعلقات مع الشواهد في شروحهم

خلال دراسة منهج شراح المعلقات في تعاملهم مع الشواهد المختلفة يتبيّن أنهم أخذوا هذه الشواهد من مصادر مختلفة، كالقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر العربي، والأمثال.

٣ـ ١ـ القرآن الكريم

يُعتبر القرآن الكريم أفصح نصّ عربي استشهد به المشتغلون بالعربية منذ صدر الإسلام وبه تعلقت نشأة الدراسات العربية بفروعها المختلفة ولقد أجمع العلماء على أنّ القرآن هو النص الوحيد الموثوق بصحته وعدّوه في أعلى درجات الفصاحة وخير ممثل للغة الأدبية المشتركة (البكّاء، ١٩٩٠م، ص ١٦٢).

أمّا مواضع استشهاد شراح المعلقات بالآيات القرآنية فتكون للأغراض التالية:

ـ شرح مفردة: جعل شراح المعلقات القرآن الكريم شاهدا على معاني الألفاظ في اللغة وهو «**ما ينبغي الأخذ به قبل كلّ شيء في باب الاستشهاد اللغوي؛ لأنّ الاستشهاد بالقرآن الكريم يعني اعتماد أبلغ الكلام وأوثقه وأعلاه، فلا بدّ إذا من تقديمه على ما سواه من الشواهد الأخرى مهما علت واستوثقت**» (الزبيدي، ٢٠٠٤م، ص ٢١٨). ونماذج ذلك كثيرة في شروحهم، إليك بعض النماذج منها:

قال أبوعمرو الشيباني في شرح لفظة «صَرّة» في البيت:

فَألحَقَــــه بِالهادِيــــاتِ وَدونَــــهُ جَواحِرُهــــا في صَــــرَّةٍ لَــــم تُزَمَّــــلِ

قال: "**الصَّرة: الجماعة، ويقال الصرة الصيحة والضجّة وقيل الشدة، يقال صَرّاتنا إذا شد بعضها على بعض وأما قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ (الذاريات ٥١: ٢٩)، في شدة واهتمام وضجة والصِّرَّة بالكسرة الليلة الباردة ومنها قوله تعالى: ﴿فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ﴾ (آل عمران ٣: ١١٧)**" (ص ١٦٨).

أو قال النحاس في شرح لفظة «الكِنّ» من كلمة «استكنَّتا» في البيت الـ٣١ لطرفة «وعَيْنان كالماوِيَّتَيْنِ اسْتَكَنَّتا»: "**ويقال: الكِنّ والكِنانُ واحد فهو الصحيح، قال الله جلّ وعزّ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ (فصلت٤١: ٥)، والأكنّة: جمع كِنان، ويقال: أكننتُ الشيء؛ إذا سترته، قال الله عز وجلّ: ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ (القصص ٢٨: ٦٩)، وسُمّيت الكنانة لأنها تستر ما فيها من السهام وتجمعه ويقال: كننتُ الشيء إذا صنته، قال الله عز وجلّ: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (الصافات٣٧: ٤٩)**" (ج ١، ص ٧٠).

قال الزوزني في شرح البيت الثالث من معلقة لبيد:

دمَــنٌ تَجَــرَّمَ بَعــدَ عَهــدِ أنيسِــها حِجَــجٌ خَلَــونَ حَلالُهــا وَحَرامُهــا

"**الخلو: المضي، ومنه الأمم الخالية ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾ (الأحقاف ٤٦: ١٧)**" (ص ٩٢).

وقال الخطيب في لفظة «المنون» و«مفند» في البيت العشرين للأعشى:

أأن رَأت رَجُــلاً أعشــى أضَــرَّ بِــهِ رَيــبُ المَنــونِ وَدَهــرٌ مُفنِــدٌ خَبِــلُ

قال: "**والمنون: المنية، سميت منوناً لأنها تنقُصُ الأشياء، وقيل في قول الله جلّ وعزّ: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (فصلت٤١: ٨)، معناه: غير منقوص، ... و«المفند» من الفَنَد، وهو الفَساد، ويقال: فنَّدَه إذا سفّهه، ومنه: ﴿لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ (يوسف١٢: ٩٤)**" (ص ٣٣٦).

ـ بيان قضية نحوية: استشهد الشراح بالآية القرآنية حينا لشرح المعنى النحوي أو مسألة نحوية، إليك نماذج منها:

استشهد النحاس بالآية عندما أراد أن يُثبت صحة قاعدة نحوية، ومن نماذجه ما ذكره في شرح البيت الـ٤٨ للأعشى:

لَأعرِفَنَّــــكَ أن جَــــدَّت عَــــداوَتُنا وَالــتُمِسَ النَّصــرُ مِــنكُم عــوْضَ تُحتَمَــلُ

قائلا: "**قال ابن السكيت: عوضُ: دهرٌ وأبدٌ وهذا القول فيه تساهلٌ لأنه لوكان على هذا لكان نكرة ووجبَ أن ينصبَ ويُنوّنَ ولكن حقيقته أنه بمعنى دهرك وأبَدكَ وهو معرفة، فلذلك بُني وهو بمنزلة «قبلُ وبعدُ» إذا نُكّرتا لم تُبنَيا كما قرئ: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾ (الروم٣٠: ٤)**" (ج ٢، ص ١٤٨).

و قال الخطيب مستشهداً بالآية لشرح معنى حرفٍ، كقوله في شرح البيت الـ٣١ لزهير:

فَتَعــــرُكُكُمُ عَــــرْكَ الرَّحــــى بِثِفالِهــــا وَتَلقَــــحْ كِشــــافاً ثُــــمَّ تُنْــــتَجْ فَتُتــــئِمِ

قال مشيراً إلى معنى حرف الباء في «بثفالها»: "**وأراد: عرك الرحى ومعها ثفالها، أي عرك الرحى طاحنة قال الله عز وجلّ: ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ (المؤمنون٢٣: ٢٠)، المعنى: ومعها الدهن، كما تقول: جاء فلان بالسيف أي: ومعه السيف**" (ص ١٤٨).

و قال أبوعمرو الشيباني مستشهداً بالآية القرآنية في شرح إعراب الألفاظ في البيت التالي:

ألا أيُّهَـــذا اللائِمـــي أحضُـــرُ الـــوَغى وَأن أشـــهَدَ اللَّـــذّاتِ هَـــل أنـــتَ مُخلِـــدي

"**ومن رواه بالرفع فهو على تقديرين: أحدهما أن يكون تقديره: أن أحضرَ، فلمّا حذف رفع، ومثله على مذهب سيبويه قوله [تعالى]: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾ (الزمر ٣٩: ٦٤) المعنى عنده أن أعْبُدَ. والقول الآخر في رفع أحضر وهو قول أبي العباس أن يكون في موضع الحال ويكون «وأن أشهد» معطوف على المعنى، لأنه لما قال أحضر دلّ على الحضور كما تقول: من كذب كان شراً له، أي كان الكذب شراً له**" (ص ٦٣).

- توضيح مسألة صرفية: وذلك كما أورده النحاس في بيان أن إحدى التاءين قد تحذف من الفعل المضارع، ففي شرح البيت السابع لطرفة:

خَـــذولٌ تُراعـــي رَبرَبـــاً بِخَميلَـــةٍ تَنـــاوَلُ أطـــرافَ البَريـــرِ وَتَرتَـــدي

يقول: "**وقوله: تناوَلُ، والأصل تتناوَلُ ثم حُذف إحدى التاءين، وقال الله عز وجلّ: ﴿وَلا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران ٣: ١٠٣)، والأصل تتفرَّقوا**" (١: ٥٧).

إن القضايا الصرفية كالتي اهتم بها ابن الأنباري والنحاس في شرحيهما لا نجدها عند الشيباني وحتى القضايا كالإبدال والإدغام والإعلال التي شرحاها لا نحصل عليها في شرحه، وإن لم يخل شرحه من بعض الإشارات القليلة هنا وهناك، كقوله في بيان الإبدال في لفظة «وُكُنات» في بيت معلقة امرئ القيس: "**وإن شئت أسكنت لثقل الضمة فقلت: وُكْنات، وغُرْفات، وإن شئت أبدلت من الواو همزة فقلت: أكنات، ومثله [قوله تعالى]: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ (المرسلات ٧٧: ١١) وإنما هو الوقت**" (ص ١٦٠).

و قال الزوزني في شرحه للبيت الـ١٢ لزهير في شرحه لمفردة «الأنيق» قال: "**فعيل بمعنى المفعِل، كالحكيم بمعنى المحكِم والسميع بمعنى المسمِع والأليم بمعنى المؤلِم ومنه قوله عزّ وجلّ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران ٣: ٧٧، ٩١، ١٨٨، والمائدة ٥: ٧٣)**" (ص ٧٦).

- شرح مسألة بلاغية:

استشهد النحاس بالآية لبيان ما وضّحه من البلاغة في البيت وإن كان موجزاً كشرحه قضية «الالتفات» في البيت التاسع لعنترة:

حَلَّـــت بِـــأرضِ الزائِـــرينَ فَأصـــبَحَت عَسِـــراً عَلَـــيَّ طِلابُـــكِ ابنَـــةَ مَخـــرَمِ

"**يذهب أبو عبيدة إلى أنه رجعٌ من الأخبار إلى المخاطبة والعرب ترجع من الأخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الأخبار فمما رجع فيه من الأخبار إلى المخاطبة قوله عز وجلّ: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ (الإنسان٧٦: ٢١) ثم قال جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء﴾ (الإنسان٧٦: ٢٢) ولم يقل: لهم، ... ومما رُجع فيه من مخاطبة الشاهد إلى الغائب قوله جلّ وعزّ: ﴿حتَّى إذا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس ١٠: ٢٢) المعنى - والله أعلم - وجرينَ بهم بريح طيبة، والمعنى - والله أعلم - وجرين بهم يا محمد**" (ج ٢، ص ١٠). ونجد هذا التوضيح في شرح بقية الشراح أيضاً.

- توضيح عادات العرب اللغوية:

في شرح النحاس وردت العادة اللغوية للعرب في مخاطبتهم الواحد خطاب الاثنين حيث أشار إلى الآية الكريمة: ﴿**أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ (ق ٥٠: ٢٤)، وذكر الأقوال المختلفة فيها، بقوله "**ذهب بعض الفصحاء إلى أنه مخاطبة للملك، وهذا شئ أنكره حذاق البصريين، ورأى المبرد أن قول الله تثنية على التوكيد أدّى معنى ألقِ ألْقِ**" (النحاس، ج ١، ص ٤).

وقال الخطيب مستشهداً بالآية القرآنية لشرح آداب العرب فاستشهد بالآيتين مبيّنا ما كانت تقوم به المرأة من آداب في وفاة زوجه، في شرح عبارة «إذا تطاول عامها» في البيت الـ٨٨ للبيد:

وَهُـــمُ رَبيـــعٌ لِلمُجـــاوِرِ فـــيهِمُ وَالمُـــرمِلاتِ إذا تَطـــاوَلَ عامُهـــا

إذ إن "**المرأة كانت إذا توفّي عنها زوجُها أقامت عاماً ونزل بذلك القرآنُ في أول شيء، قال الله عز وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ (البقرة٢ : ٢٤٠)، ثم نُسخ هذا بقوله: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة٢ : ٢٣٤)**" (ص ٢٠٧).

وذلك في موضع واحد من شرح أبي عمرو الشيباني وهو إشارته إلى أن العرب يستخدمون لفظتين بمعنى واحد، كما أن الشاعر عنترة استخدم لفظتي «أقوى» و«أقفر» وكلاهما بمعنى واحد، وقال: "**وزعم أبو العباس إلى أنه لا يجوز أن يكرر شيء إلا وفيه فائدة ... وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ (المائدة ٥ : ٤٨)، الشرعة: ما ابتدي من الطريق، والمنهاج الطريق المستقيم، وقال غيره: الشرعة والمنهاج واحد وهما طريقان ويعني بالطريق هنا الدين**" (ص ٢٢٠).

ـ تأكيد المعنى:

قال النحاس في شرح البيت الـ٤٩ لزهير:

وَمَـــن هـــابَ أســـبابَ المَنايـــا يَنَلْنَـــه وَلَـــو رامَ أســـبابَ السَّـــماءِ بِسُـــلَّمِ

مستشهداً بالآية القرآنية لشرح معنى البيت: "**الأسباب: النواحي، وإنما عني بهذا من يهابه كراهَة أن تَناله، لأن المنايا تنال من يهابها ومن لا يهابها، ونظير هذا قول الله جل وعزّ: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ (الجمعة٦٢ : ٨) والموت يُلاقي من فرّ ومن لم يفر، فيقال: كيف خوطبوا بهذا وأنت إذا قلت: الذي يجيئك فأكرمه فإنما يقع الإكرام من أجلِ المجيء، فالجواب عن هذا أنه إنما عنى من يَفِرُّ لئلا يُلاقيه الموت وهذا معنى قول سيبويه**" (ج ١، ص ١٢٢).

في الجدول التالي ذكرٌ لعدد الآيات المستشهد بها في شرح كل معلقة عند كل شارح:

عدد الآيات المستشهد بها في شروح المعلقات عند كل من شارحيها

المعلقة	الشيباني	النحاس	الزوزني	الخطيب
امرؤالقيس	١٣	٥١	١٩	١٢
زهير	١٣	٢٧	٧	١٢
لبيد	٤	٣٩	٧	١٢
عمرو	ـــــ	٢٢	٧	٤
طرفة	١٥	٣٦	٤	١٧
عنترة	١٣	٣٧	٤	١٧
الحارث	ـــ	٢٧	١	٧
الأعشى	١	١٣	ـــ	٤
النابغة	ـــ	١٨	ـــ	٢
المجموع (٧)	٥٩	٢٧٠	٤٩	٨٧

واضح أن الخطيب لم يستشهد بآية قرآنية في شرحه معلقة عبيد بن الأبرص أبدا، و أن النحاس كان أكثر الشراح مستشهدا بالآيات القرآنية في شرحه المعلقات. أما عدد الأبيات المستشهد بها في كلّ غرض عند كل شارح فيشير إليه الجدول التالي:

أغراض الاستشهاد بالآيات القرآنية وعددها ونسبتها المئوية

غرض الاستشهاد	الشيباني	النحاس	الزوزني	الخطيب
بيان قضية نحوية	٢٢	٧٦	١٨	٣٤
شرح الألفاظ الصعبة	٣١	١٦١	١٧	٣٨
توضيح مسئلة صرفية	٢	١٢	٨	٥
شرح موضوع بلاغي	٣	١١	٦	٣
توضيح عادات العرب	١	٣	ـــــ	٣
تأكيد المعنى	ـــــ	٧	ـــــ	٤
المجموع (٤ أغراض)	٥٩	٢٧٠	٤٩	٨٧

يظهر من الجدول أعلاه أن الشراح قد خصّصوا أكثر الشواهد القرآنية لشرح الألفاظ والنحو، وهذا يدلّنا على السمة البارزة لشروحهم وهي الاهتمام باللغة والنحو، ولعلّ الطابع التعليمي الغالب على هذه الشروح جعل أصحابها يهتمون بهما أكثر من غيرهما.

أما موقف هؤلاء الشراح من القراءات فلا نكاد نعثر على ما يُذكر إلا في شرح النحاس، وهذا أمر يلفت النظر في شرحه لأنه استعمل القراءات بكثرة ووفق منهج جديد لم يسبقه إليه أحد، إذ يُلاحظ أنه استعمل القراءات لتوجيه الشعر، وهذا ما لم يفعله أحد من قبل كما ادّعى الدكتور أحمد نصيّف الجنابي وأثبت أصالة النحاس في هذا الجانب وقصده من الأصالة أن «**يتناول الكاتب موضوعاً مطروقاً من قبلُ ... لكنه يتناوله بمنهج جديد، أو برؤية جديدة، كما فعل الإمام السّهيلي (ت ٥٨١هـ)، في كتابه الأمالي حيث فسّر الممنوع من الصرف تفسيراً جديداً، وكما فعل ابن مضاء القرطبي حين تناول موضوع العلل النحوية بالنقد وذلك في كتابه الرد على النحاة ... وأصالة النحاس تظهر في استعمال القراءات لتوجيه الشعر، وأجاز في الشعر قراءتين قياساً على القراءات وهذا ما لم يفعله أحد من قبل ولذلك فهو رائد في هذا**» (الجنابي، ١٤٠٠هـ، ص ١٤٦).

ولا يفوتنا أن نذكر أن النحاس كان إماماً من أئمة القراء وهذه النقطة توضح جانباً من موقفه من القراءات. وقد قرأ على نُخبة طيّبة من القراء منهم: أبو بكر بن يوسف التُّجيبي (ت ٣٠٧هـ)، وأبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجوني الكبير (ت ٣٢٤هـ)، وابن شنبوذ، محمد بن أحمد (ت ٣٢٨هـ) (المصدر نفسه، ص ١٤٧)، كما أن كتابه *إعراب القرآن* يعد أول كتاب شامل وصل إلينا في تعليل القراءات وشرحها والبسط في عللها بحيث لا يترك قراءة مشهورة وأحياناً غير مشهورة إلا نادراً (الجنابي، ١٤٠٠هـ، ص ٢٠).

ولا شك أن كون النحاس قارئاً أثّر في آرائه وأحكامه فنلاحظ أنه ظهرت في شرحه بعض الآراء التي تعدّ طريفة، منها أنه أجاز قراءة الأبيات الشعرية بصورتين مختلفتين وذلك عندما كانت لديه الصورتان في القراءات القرآنية، وعلى سبيل المثال قال في شرح البيت العشرين للأعشى:

أأن رأت رَجُـــلاً أعشـــى أضَـــرَّ بِـــهِ رَيـــبُ المَنـــونِ وَدَهـــرٌ مُفنِـــدٌ خَبِـــلُ

"**وقوله: أأن رأت «أن» في موضع نصب والمعنى أمن أن رأت رجلاً أعشى صدّت ثم حُذفَت من ولك أن تحقق الهمزتين فتقول: أأن ولك أن تخفّف الثانية فتقول: أأن [أي: آن]، وعلى هذا قُرئ: ﴿ءاندَرْتَهُمْ﴾ (البقرة٢ : ٦) وقال بعض النحويين: إذا خففتها جئتَ بها ساكنة وهذا القول خطأ، لأن النون في أأنذرتهم ساكنة وكذلك هي في «أأن» فلو كانت ساكنة لاجتمع ساكنان**" (ج ٢، ص ١٣٨).

كما أجاز القراءتين في شرح البيت الـ٦٣ لعنترة:

فَبَعَثْتُ جارِيَتي فَقُلْتُ لَها اذْهَبي فَتَحَسَّسي أخبارَها لِيَ وَاعلَمي

فقال: "**وإن شئت أسكنتَ الياء في قوله: «ليَ»، وإن شئتَ فتحتَها وهما لغتان معروفتان قرأ بهما القراء وأجودهما الفتح لأن الياء اسمٌ، فإن أسكنتَها جئتَ باسم على حرف واحد مسكّن وهذا إخلالٌ ومن سكّنها قال: وإن كانت اسماً على حرف واحد فإنه معتمد على ما قبله لا ينفكّ منه فقد صار بمنزلة ما هو منه، والحركة تُستثقلُ في الياء والواو فلذلك أسكنت**" (ج ٢، ص ٣٩).

والجدير بالذكر أن الشراح لم يذكروا رقم الآية والسورة للآيات التي استشهدوا بها في شروحهم، إلا النحاس و ذلك في موضع واحد أشار إلى اسم السورة وذلك في شرح البيت الـ٨٣ لعمرو:

لَيَستَلِبُنَّ أبْداناً وَبيضاً وَأسرَى في الحَديدِ مُقَرَّنينا

حيث قال ناقلاً عن السجستاني عن أبي عمرو بن العلاء: "**والأسارى الذين صاروا في الوثاقِ والسّجن وقرأ [أبو عمرو بن العلاء] في الأنفال ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أن يَكُونَ لَهُ أسْرَى﴾ (الأنفال ٨: ٦٧)**" (ج ٢، ص ١٢٣).

وكذلك نلاحظ أن النحاس كان في شرحه لمعنى الآية القرآنية أو معنى لفظة منها يراعى جانب الحذر ويذكر جملة معترضة «والله أعلم»، كما قال في شرح البيت الـ٥٩ للبيد في توضيح لفظة «ختامها»: "**وختامها: طينُها، فأما قول الله جل وعزّ: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ (المطففين ٨٣: ٢٦)، فمعناه ـ والله أعلم ـ أن آخره مسكٌ**" (ج ١، ص ١٦٣)، وقال أيضاً في شرح معنى الآية الشريفة ﴿**قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي**﴾ (النمل ٢٧: ١٩)، ناقلاً عن أبي إسحاق: "**قال أبو إسحاق معناه ـ والله أعلم ـ اكففني عن جميع الأشياء إلا عن شكرك والعمل الصالح**" (ج ١، ص ١٦٤).

والملحوظة الأخيرة هي أن الشراح بدأوا استشهادهم بالآيات بقولهم: "قال الله عز وجلّ"، وقوله عزّ وجلّ"، و"قال الله جلّ ثناؤه"، و"قول الله تبارك وتعالى"، و"قرأ بعضهم"، و"قوله جلّ وعزّ"، و"قال جلّ وعزّ"، و"قال"، و"ومنه"، و"قراءة عاصم"، و"في كتاب الله جلّ وعزّ"، و"يُقرأ"، و"قُرئ"، و"قال الله تعالى"، و"قال جلّ ذكره"، وقوله عزّ وجلّ"، و"في قوله تعالى"، و"قال جلّ وعلا"، و"قال تعالى"، و"قراءة من قرأ"، و"مثله"، و"كذلك".

٣ـ ٢ـ الحديث النبوي الشريف

مع أنّ الحديث من أهمّ الشواهد اللغوية بل أهمّها بعد القرآن الكريم وليس الشعر وغيره من كلام العرب بأوثق منه ولا أصحّ منه بعد القرآن في الاستشهاد على اللفظ الغريب، نلاحظ أن شراح المعلقات لم يكونوا مكثرين من الحديث النبوي الشريف في شروحهم المعلقات و إن لم تخل هذه الشروح منه واستشهادهم بالحديث فمعظمها في مسائل لغوية ـ إن لم نقل جميعها ـ ولعلّ الأمر يعود إلى نفس الدليل الذي يجعل النحاة المتقدمين يرفضون الاستشهاد به، وهو أن الحديث النبوي الشريف مع أنه كان في غاية البلاغة والفصاحة وكان قد جرى على لسان أفصح من نطق بالضاد ولكن بعد أن تمكّن الإسلام أن يتجاوز الجزيرة العربيه ويدخل

شتّى بقاع الأرض ودخل فيه كثير من الأعاجم واختلطت اللغة العربية بغيرها من اللغات أخذ الناس الذين قد يتطرق اللحن إلى ألسنتهم ينقلون الحديث بمفاهيمه ومعانيه لا بألفاظه الشريفة (عبد المقصود، ٢٠٠٦م، ص ١٧).

وإليك بعض النماذج منها:

استشهد الشيباني بالحديث النبوي الشريف في أربعة مواضع من شرحه؛ اثنان منها في شرح الألفاظ:

الأول: قال في شرح لفظة «الجثوة» في البيت السبعين لمعلقة طرفة:

تَـــرى جُثـــوَتَينِ مِـــن تُـــرابٍ عَلَيهِمـــا صَـــفائِحِ صُـــمٍّ مِـــن صَـــفيحٍ مُنَضَّـــدِ

"**والجُثوة التراب المجموع، يقال للرجل: إنما هو جُثوة اليوم أو غد، ويقال لكلّ مجتمع جُثوة، والجمع جُثًى، وفي الحديث: «من دعا دعاءَ الجاهلية فإنه من جُثى جهنم» [الهيثمي، ١٩٩٩م، ٢: ٨٦٨] أي من جماعات جهنم**" (ص ٦٧).

الثاني: في شرحه البيت الثاني لمعلقة عنترة:

يـــا دارَ عَبلَـــةَ بِـــالجَواءِ تَكَلَّمـــي وَعِمـــي صَـــباحاً دارَ عَبلَـــةَ وَاســـلَمي

قال في لفظة «عِمِي»: "**قال الفراء: عِمي وأنعمي واحد، ...، ويُروى أن أباذر لما أتى النبيّ ﷺ، فقال له: أنعم صباحاً، فقال له النبي ﷺ: إن الله قد أبدلني منها ما هو خير منها [لم أعثر على الحديث في كتب الحديث وشروحها]، فقال له أبوذر: ما هي؟، قال: السلام**" (ص ٢١٧).

وفي موضع واحد استشهد الشيباني بالحديث لشرحه ما كان للجاهليين من الاعتقاد بالهامة، قال في شرح بيت لمعلقة طرفة: "**وكانوا في الجاهلية يقولون إذا مات الميت خرجت من قبره هامة تزقو عليه، وكانوا يُسمّون الصوت الصدى، فأبطل ذلك الإسلام فقال عليه السلام: «لا عَدْوَى ولا هامَةَ ولا صَفَرَ» [البيهقي، ١٣٤٤هـ، ٧: ٢١٦]**" (ص ٦٦).

وكذلك في موضع واحد من شرحه استشهد بالحديث لبيانه تشبيه العرب كلّ متحرك نشيط بالحية: "**العرب تقول لكل متحرك نشيط: رأسه كرأس الحية، وأما الحديث الذي روي في صفة الدجال «كأن رأسه أصَلَة» [الطبراني، ١٩٨٣م، ١١: ٢٧١]، فإن الأصلة الأفعى**" (ص ٧٤).

أما بالنسبة إلى النحاس فذكرت الدكتورة خديجة الحديثي في كتابه أن النحاس من النحاة الذين استشهدوا بالحديث الشريف في كتبهم ودرست كتابي النحاس *القطع والائتناف* و*إعراب القرآن*، إذ الأول مبني على آيات القرآن الكريم وأقوال القراء في مواضع انقطاع اللفظ لمعنى واستئناف ما بعده على معنى جديد وفي الكتاب الثاني قد احتج النحاس بالحديث في مائة وسبعة وستين موضعاً (الحديثي، ١٩٨١م، ١١٥).

لا شك أن الموضوع في هذين الكتابين اقتضى الاحتجاج بالحديث، إذ الاستدلال بما ورد من أحاديث نبوية فيهما يوضح مواضع انقطاع اللفظ لمعنى ويبيّن المعاني في كل آية، ويوضح معنى الآيات إن كان مبهماً أو يبين أسباب نزولها وهذه الأمور لا خلاف في جواز أن يحتج عليها بالحديث، بل يجب أن يحتج به لتوضيحه، وكذلك نلاحظ أنه استشهد في كتابه في شرح المعلقات بالحديث النبوي في ٢٢ موضعاً، ومعظم استشهاداته في اللفظة وشرحها. إليك نماذج من استشهاده بالحديث:

- قال في شرح لفظة «نصّتْه» في البيت الـ٣٣ لامرئ القيس:

وَجيـــدٍ كَجيـــدِ الـــرِّئمِ لَـــيسَ بِفـــاحِشٍ إذا هِـــيَ نَصَّـــتهُ وَلا بِمُعَطَّـــلِ

"**وفي الحديث عن النبي ﷺ «أنه كان إذا وجد فُرْجَةً نَصَّ» [ابن الأثير، ١٩٧٠م، ٣: ٢٥١]، أي أسرع**" (ج ١، ص ٢٤).

- قال في لفظة «السُّدول» في البيت الـ٤٤ لامرئ القيس:

وَلَيـــلٍ كَمَـــوجِ البَحـــرِ أرخـــى سُـــدولَهُ عَلَـــيَّ بِـــأنواعِ الهُمـــومِ لِيَبتَلـــي

"**في الحديث: «أنهم كانوا يكرهون السَّدْلَ في الصلاة» [النيسابوري، ١٩٨٥م، ٥: ٥٨]**" (ج ١، ص ٣١).

- قال في لفظة «الأطْر» في البيت العشرين لطرفة:

كَـــأنَّ كِناسَـــي ضـــالَةٍ يَكتُنفانِهـــا وَأطْـــرَ قِســـيٍّ تَحـــتَ صُـــلبٍ مُؤَيَّـــدِ

"**وفي الحديث عن النبي ﷺ: ذكرت بنو إسرائيل وذُكر ما عملوا من المعاصي فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى تأخذوا على يدي الظالم وتأطروه على الحق أطْراً» [البيهقي، ١٣٤٤هـ، ٦: ٧٦]، أي تعطفوه**" (ج ١، ص ٦٤).

وفي موضع واحد من شرحه استشهد بالحديث لشرحه التشبيه في البيت وذلك في البيت الـ٨١ لطرفة:

أنـــا الرَّجُـــلُ الضَّـــربُ الَّـــذي تَعرِفونَـــهُ خِشـــاشٌ كَـــرَأسِ الحَيَّـــةِ المُتَوَقِّـــدِ

"**وقوله «كرأس الحية»: العرب تقول لكلّ متحرك نشيط رأسه كرأس الحية فأما الحديث الذي يروى في صفة الدجال «كأنّ رأسه أصَلَةٌ» [الطبراني، ١٩٨٣م، ١١: ٢٧١]، فإن الأصلة الأفعى**" (ج ١، ص ٨٩).

وفي موضعين من شرحه لم يذكر الحديث بلفظه وأشار إلى معناه فقط؛ أما الموضع الأول ففي شرحه مفردة «عفت» في البيت الأول للبيد بقوله: "**ويقال في غير هذا عَفَا: إذا كثر وأعفيتُه إذا كثَّرْتَه وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه كان يأمر أن تُقصّ الشوارب وتُعْفى اللحى؛ أي تُوفّر وتُكثّر**" (ج ١، ص ١٣٠)، والحديث الذي لم يذكره النحاس هنا بلفظه وأتى بمعناه هو: «**أحْفُوا الشوارب وأعفوا اللّحى**» (المقدسي، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٤٨).

والموضع الثاني هو في شرح البيت التاسع عشر للحارث حيث يقول: "**وقيل أراد بقوله «زَعَموُا أنَّ كلَّ مَنْ ضَرَبَ العيرَ» جبلاً بالمدينة أي زعموا أن كلّ من مشى إليه وفي الحديث أن النبي حرّم ما بين عَيْر إلى أحد ورواه بعضهم: ما بين عَيْر إلى ثور [الجزري، ١٩٧٩م، ٣: ٦١٨]، والأول الأصحّ، لأن ثوراً بمكّة**" (ج ٢، ص ٦٢).

أما الزوزني فلم يستخدم الحديث في شرحه إلا في مواضع قليلة لا تبلغ عدد أصابع يد واحدة. واستشهاده بالحديث في ثلاثة مواضع كلّها لشرح المفردات وهي:

ـ في شرح البيت الـ٥٦ لمعلقة امرئ القيس:

مِسَـــحٍّ إذا مـــا الســـابِحاتُ عَلَـــى الـــوَنى أثَّـــرنَ غُبـــاراً بِالكَديـــدِ المُرَكَّـــلِ

ففي بيان «المركل» استشهد قائلاً "**ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فركلني جبريل [لم أعثر على الحديث في كتب الحديث أو شروحها] إذ المركل من الركل: وهو الدفع بالرجل والضرب بها والفعل منه ركل يركل**" (ص ٣١).

ـ في شرح البيت الأول من معلقة طرفة:

لِخَولَـــةَ أطـــلالٌ بِبُرقَـــةِ ثَهمَـــدِ تَلـــوحُ كَبـــاقي الوَشـــمِ في ظـــاهِرِ اليَـــدِ

وفي شرح (الوشم) قال: "**ومنه قوله عليه الصلاة والسلام «لعن الله الواشمة والمستوشمة» [البخاري، ١٩٨٧م، ٢: ٧٨٠]، فالواشمة هي التي تشم اليد والمستوشمة هي التي يُفعَل بها ذلك**" (ص ٤٥).

ـ الموضع الأخير هو عندما شرح البيت العشرين من معلقة زهير:

فَأصبَحتُما مِنها عَلى خَيرِ مَوطِنٍ بَعيدَينِ فيها مِن عُقوقٍ وَمَأثَمِ

وفي شرح مفردة «العقوق» قال: "**العقوق: العصيان، ومنه قوله عليه السلام «لا يدخل الجنّةَ عاقٌ لأبويه» [الطبراني، ١٩٨٣م، ٢٢: ٣٧٢، وروايته: لا يدخل الجنة عاق، ولا منان ولا مدمن خمر]**" (ص ٧٩).

والذي يُلاحظ من مواضع احتجاج الزوزني بالحديث أنه احتجّ به على أمور لغوية والاحتجاج بالحديث في اللغة لم يكن موضع خلاف بين النحاة ولا ممنوع عند اللغوين وإن لم يُكثر الزوزني منه. أمّا الخلاف الذي أشرنا إليه في الاحتجاج بالحديث فقد كان في مسائل نحوية أو صرفية ولم نلاحظ على شرح الزوزني ما نستطيع به إثبات احتجاجه بالحديث في النحو والصرف.

واستشهاد الخطيب بالحديث النبوي الشريف في ثمانية مواضع وكلها في شرح المفردات والألفاظ الصعبة، وبدأ استشهاده بالحديث بقوله: "في الحديث"، و"أما الحديث"، و"يُروى"، و"جاء في الحديث".

٣ـ ٣ـ الشعر العربي

أما الشواهد الشعرية في شروح المعلقات فكانت للأغراض التالية:

ـ شرح مفردة: منها: قال أبو عمرو الشيباني في شرح لفظة «أغرّك» في بيتٍ لمعلقة امرئ القيس: "**الغر الذي لم يجرّب الأمور، وقال:**

يا رُبّ مثلِكِ في النِّساءِ غريرَةٍ بَيْضاءِ قد متَّعْتُها بطَلاق"

(الشيباني، ص ١٣٨)

واستشهد النحاس بالبيت الشعري لشرح جمع الألفاظ الواردة في أبيات المعلقات، كقوله في شرح البيت السادس لطرفة أيضاً:

وَفي الحَيِّ أحوى يَنفُضُ المَردَ شادِنٌ مُظاهِرُ سِمطَي لُؤلُؤٍ وَزَبَرجَدِ

"**والسمط: النظم من اللؤلؤ وجمعه سموط، كما قال الأعشى:**

وَكَأنَّ السُّموطَ عَكَّفَها السِّلـ ـكُ بِعِطفَي جَيداءَ أُمِّ غَزالِ"

(النحاس، ج ١، ص ٥٦)

وربما استشهد لبيان تذكير لفظةٍ ما أو تأنيثها، كقوله في شرح لفظة «المتن» في البيت الأحد عشر لزهير: "**وحكى الفراء بأن المتن يُذكّر ويُؤنث وأنشد في تذكيره:**

لَها شَطى لا عيبَ فيهِ مِنْ شَطى رُكّبَ للجَرْيِ ومَتْنٌ ريّانُ

وقال امرؤ القيس في التأنيث:

لَها مَتنَتانِ خَظاتا كَما أكَبَّ عَلى ساعِدَيهِ النَّمِر"

(النحاس ج ١، ص ١٠٤)

كما استشهد الخطيب بعدة أبيات في توضيحه اللغات المختلفة للفظة «الشّمال» في البيت الثاني لامرئ القيس: «لما نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأَلِ» قال: "**وفي الشمال لغات، يقال: شَمالٌ، وشَمألٌ، شَأمَلٌ وشَمْلٌ وشَمَلٌ وشَمولٌ، قال الشاعر في الشأمل:**

وَهَبّتِ الشّأمَلُ البَليلُ وإذْ باتَ كَميعُ الفَتاةِ مُلْتَفِعا

وقال آخر في الشَمْلِ، بإسكان الميم:

أتَـــى أبَـــدٌ مِـــن دونِ حِـــدثانِ عَهـــدِها وجَـــرَّتْ عليهـــا كُـــلُّ نافِجَـــةٍ شَـــمْلِ

وقال عمر بن أبي ربيعة في الشمَلِ، بفتح الميم:

ألم تَرْبَـــعْ عَلَـــى الطَّلـــلِ ومَغْنَـــى الحـــيّ كَالخِلَـــلِ
تُعَفّـــي رَسمَـــه الأروا حُ مَـــرٌّ صَـــبًا مَـــعَ الشَّـــمَلِ؟

وقال ابن ميّادة في الشُّمول:

ومَنْزِلَـــةٍ أخـــرَى تَقـــادَمَ عَهـــدُها وقيعانِهـــا كأنّـــه حَـــبُّ فُلْفُـــلِ"

(الخطيب التبريزي، ص ٢٧)

ـ بيان قضية نحوية: قال أبو عمرو الشيباني في بيان إعراب لفظة «يؤخّر» في البيت الـ٢٩ لمعلقة زهير: "**وقال بعض أهل اللغة «يؤخر» بدل من «يعلم» ... وكما قال الشاعر:**

مَتَـــى تأتِنـــا تُلمِـــمْ بِنـــا في ديارِنـــا تَجِـــدْ حَطَبـــاً جَـــزْلاً ونـــاراً تأجَّجـــا

فأبدل تلمم من تأتنا" (ص ١٩٩).

وكذلك استشهد النحاس بالشعر في شرح قاعدة نحوية كشرحه البيت العاشر للحارث:

غَـــيرَ أنّـــي قَـــد أســـتَعينُ عَلـــى الهَـــ ـــمِّ إذا خَـــفَّ بِـــالثَّويِّ النَّجـــاءُ

عندما وضّح الاستثناء في البيت، قال: "**وقوله غير أن منصوبٌ على الاستثناء وهذا استثناءٌ ليس من الأول كما قال الله جلّ وعزّ: ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ (النساء٤: ١٥٧)، وأنشد سيبويه:**

ولا عَيْـــبَ فـــيهم غيْـــرَ أنّ سُـــيوفَهُم بِهِـــنَّ فُلـــوُلٌ مـــن قِـــراعِ الكَتائِـــبِ"

(النحاس، ج ٢، ص ٥٦)

وقد استشهد الخطيب بالشعر في توضيحه إعراب ألفاظ البيت، فقال في شرح البيت الـ٤٦ لزهير:

فَكُـــلاً أراهُـــمْ أصْـــبَحوا يَعْقِلونَـــه عُلالَـــةَ ألْـــفِ بَعْـــدَ ألْـــفٍ مُصَـــتَّمِ

"**وكلاً منصوب بإضمار فعل، يفسّره ما بعده، كأنه قال: فأرى كلاً، ويجوز الرفع على ألا تُضمر، إلا أن النصب أجود لتعطف فعلاً على فعل، لأن قبله: «ولا شاركتُ في الحرب» فصار كقوله:**

أصـــبَحْتُ لا أحمِـــلُ السِّـــلاحَ ولا أملِـــكُ رأسَ الـــبَعيرِ إن نَفَـــرَا
والـــذِّئبَ أخْشـــاهُ إن مَـــررْتُ بـــه وَحْـــدي وأخْشـــى الرِّيـــاحَ والمَطَـــرَا

(الخطيب التبريزي، ص ١٥٦)

واستشهد النحاس بالشعر لبيان معنى الحرف في البيت، كقوله في شرح البيت الـ٤٥ للحارث عندما وضّح الفرق بين الحرفين «أم» و«أو»، فقال: "**و«أو» تقع لأحد الشيئين [التسوية والخروج من كلام إلى كلام] نحو قول الشاعر:**

ألا لَيْتَ شعري هَلْ يَرى الناسُ ما أرى من الأمرِ أو يَبْدوُ لَهُم ما بدا لِيَا"

(النحاس، ج ٢، ص ٧٣)

ـ توضيح مسألة بلاغية: وإن كان اهتمام هذه الشروح للبلاغة ومسائلها قليلاً جدا ولم يهتم الشراح بالمحسنات اللفظية والبيانية ولكن هناك بعض الإشارات وفيها استشهدوا بالشعر وذلك كشرح الزوزني للبيت الـ٣٢ للبيد:

مَشمولَةٍ غُلِثَت بنابتِ عَرفَجٍ كَدُخانِ نارٍ ساطِعٍ أسنامُها

إذ قال: "**وقوله: كدخان نار ساطع أسنامها صفة أيضاً إلا أنه كرّر قوله كدخان لتفخيم الشأن وتعظيم القصة كنظائره من مثل:**

أرى الموتَ لا ينجو من الموتِ هاربُه"

(الزوزني، ص ١٠٢)

وكقول النحاس في شرح البيت التاسع لعنترة:

حَلَّت بأرضِ الزائرينَ فَأصبَحَت عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكِ ابنَةَ مَخرَمِ

عندما شرح قضية الالتفات، وأن العرب ترجع من الأخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الأخبار، واستشهد ببيتين للأعشى لشرح الرجع من الغائب إلى المخاطب، والبيتان هما:

"عِندَهُ الحَزمُ وَالتُّقى وَأسى الصَّدعِ وَحَملٌ لِمُضلِعِ الأثقالِ
وَوَفاءٌ إذا أجَرتَ فَما غُرّت حِبالٌ وَصَلتَها بِحِبالِ

فقال: أجَرْتَ ولم يقل أجار" (ج ٢، ص ١٠).

أو في توضيحه تشبيه البيت الـ٣١ لزهير:

فَتُعرِكُمُ عَركَ الرَّحى بِثِفالِها وَتَلقَحْ كِشافاً ثُمَّ تَحمِلْ فَتُتئِمِ

إذ شبّه الشاعر الحرب بالناقة واستشهد النحاس ببيت شاعر قال:

"إنَّ المهالِبَ لا يَزالُ لَهُم فَتى يُمْري قَوادِمَ كُلِّ حَربٍ لاقِحِ

وقال: "**إنما شبّه الحرب بالناقة، لأنه جعل ما يُحلب منها من الدماء بمنزلة ما يُحلب من الناقة من اللبن**" (ج ١، ص ١١٤).

ـ تأكيد المعنى: وذلك أن ذكر الشارح معنى واستشهد بالشعر لتأكيده، فقال النحاس مثلاً في شرح البيت الثامن عشر لعنترة في لفظة «الروضة» ناقلاً عن أبي عبيدة: "**قال أبو عبيدة: إذا كانت الروضة في مكانٍ عالٍ قيل لها تُرعة، وقال أبو زياد الكلابي: أحسن ما تكون الروضة إذا كانت في مكان مرتفع غليظ وأنشد:**

ما روضَةٌ من رِياضِ الحَزنِ مُعْشِبَةٌ خَضْراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ"

(النحاس، ج ٢، ص ١٥)

أو استشهد ببيت شعر لتأكيد معنى «وهل تُطيقُ وداعاً أيّها الرَّجُلُ» في البيت الأول للأعشى قائلاً: "**أي إنك تفزع إن وَدّعْتَها، كما قال:**

هريـــــرةُ ودِّعْهـــــا وإن لامَ لائِـــــمٌ غَـــدَاةَ غَـــدٍ أمْ أنـــتَ لِلبَـــيْنِ واجِـــمُ"

(النحاس، ج ٢، ص ١٢٩)

ـ بيان حادثة تاريخية: نقصد بالحادثة التاريخية هنا أن الشارح استشهد بالشعر لشرح سبب إنشاد المعلقة عند بعض الشعراء، كقول الشيباني في شرح سبب إنشاد قصيدة عبيد وذاك السبب الذي يشبه الأسطورة أكثر منه إلى الواقع، وأشار إلى ما قاله المالكي في الشاعر وأخته، قائلاً: "**فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخته ماوية ليورد غنمه، فمنعه رجل من بني مالك بن ثعلبة وجبهه، فانطلق حزيناً مهموماً لما صنع به المالكي حتى أتى شجيرات فاستظل هو وأخته تحتهنّ، وناما فزعم أن المالكي نظر إليه نائماً وأخته إلى جنبه فقال:**

ذاك عَبيـــــدٌ قـــــد أصَـــــابَ ميّـــــا يـــــا لَيْتَـــــه ألْقَحَهـــــا صـــــبيّا

فَحَمَلَـــــتْ فَوَلَـــــدَتْ ضـــــاويّا

فسمع عبيد، فساءه ذلك فرفع يديه نحو السماء فقال: اللهم إن كان هذا ظلمني ورماني بالبهتان فأذن لي منه ثم نام ولم يكن قبل ذلك يقول شعراً ... ثم اندفع في الشعر فقال:

أقفَـــرَ مِـــن أهلِـــهِ مَلحـــوبُ فَالقُطَبِيّـــاتُ فَالـــذَّنوبُ"

(ص ١٠١)

أو قال التبريزي في شرح البيت الـ٤٩ للحارث، مشيراً إلى حادثة محاربة كسرى لإياد، وذكر أن لقيط بن يعمر الإيادي الذي كان ينزل الحيرة عندما اطلع على ما قصده كسرى كتب إلى إياد وهم كانوا بالجزيرة ليستعدوا قواهم في مقابلة العدو، وأبيات لقيط هي:

سَـــلامٌ في الصَّـــحيفَةِ مِـــن لَقـــيطٍ إلى مَـــن بـــالجَزيرَةِ مِـــن إيـــادِ

بِـــأنَّ اللَّيـــثَ كِســـرى قَـــد أتـــاكُمُ فَـــلا يَشـــغَلكُمُ ســـوقُ النِّقـــادِ

أتـــاكُم مِـــنهُمُ سِـــتّونَ ألفـــاً يَزُجّـــونَ الكَتائِـــبَ كَـــالجَرادِ

عَلـــى حَنَـــقٍ أتَيـــنَكُمُ فَهَـــذا أوانُ هَلاكِكُـــم كَهَـــلاكِ عـــادِ

"**فلما بلغ كتاب لقيط إياداً استعدّوا لمحاربة الجنود التي بعث بهم كسرى، فالتقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى رجعت الخيلُ وقد أصيب من الفريقين، ثم إنهم بعد ذلك اختلفوا فيما بينهم وتفرّقت جماعتهم فلحقت طائفة مهم بالشام، وأقام الباقون بالجزيرة**" (ص ٣١٤).

ـ شرح عادات العرب اللغوية وآدابهم: من عادات العرب اللغوية أنهم كانوا يخاطبون الواحد مخاطبة الاثنين، كقول امرئ القيس في البيت الأول لمعلقته:

قِفـــا نَبْـــكِ مِـــنْ ذِكْـــرى حَبيـــبٍ وَمَنْـــزِلِ بِســـقْطِ اللِّـــوى بَـــيْنَ الـــدَّخولِ فَحَوْمَـــلِ

وقصد الشاعر من «قفا» شخصاً واحداً، واستشهد النحاس بالبيت التالي للاستدلال على أنه خاطب واحداً:

أصـــاحِ تَـــرى بَرقـــاً أُريـــكَ وَميضَـــهُ كَلَمـــعِ اليَـــدَينِ في حَبـــيٍّ مُكَلَّـــلِ

(النحاس، ج ١، ص ٣)

ومن آداب العرب التي أشار إليها الشراح واستشهدوا في بيانها بالشعر أن العرب كانوا يعجبون بالنساء ذوات الشفة السمراء، كما استشهد النحاس بقول ذي الرمة:

لميـــــاءُ في شَـــــفَتَيْها حُـــــوَّةٌ لَعَـــــسٌ وفي اللِّثـــــاتِ وفي أنيابِهـــــا شَـــــنَبُ

أو قول خُفاف بن ندبة:

كنـــــواحِ ريـــــشِ حَمامـــــةٍ نَجْديَّـــــةٍ ومَسَـــــحْتُ بـــــاللَّثَتَيْنِ عَصْـــــفَ الإثْمِـــــدِ

(النحاس، ج ١، ص ٥٨)

- شرح النكات العروضية: وذلك كقول الزوزني في شرحه للبيت الـ٥٥ لزهير إذ أخذ على الشاعر قوله «يطيع العوالي» وقال: "**كان حقه أن يقول: يطيع العواليَ، بفتح الياء، ولكنّه سكّن الياء لإقامة الوزن وحمل النصب على الرفع والجرّ لأنّ هذه الياء مسكّنة فيهما، ومثله قول الراجز:**

كـــــأنّ أيـــــديهِنّ بالقـــــاعِ الفـــــرقْ أيـــــدي جـــــوارٍ يتعـــــاطَينَ الـــــوَرَقْ"

(الزوزني، ص ٨٨)

وأشار النحاس إلى العيوب الشعرية ذيل شرحه البيت الـ٧١ لعمرو قائلاً: "**وعيوب الشعر أربعة: السناد والإيطاء والإكفاء والإقواء**" (ج ٢، ص ١١٧)، وأخذ في شرح كلّ هذه العيوب مستشهداً بالشعر.

- شرح مسألة صرفية: قلّما اهتمّ الشراح بالقضايا الصرفية والصوتية وإن لم تخل الشروح منها وذلك كقول الخطيب في شرح البيت الـ٢٨ لزهير:

يُـــؤَخَّرْ فَيوضَـــعْ في كِتـــابٍ فَيُـــدَّخَرْ لِيَـــومِ الحِســـابِ أو يُعَجَّـــلْ فَيُـــنقَمِ

فقال موضحاً الإشمام: "**وأجاز سيبويه إسكان الفعل للشاعر إذا اضطرّ يردّه إلى أصله، فيجوز على مذهب سيبويه أن يكون قوله «يُؤخّر» مردوداً إلى أصل الأفعال، يعني أنه مرفوعٌ، إلا أنه سكّن الراء من «يُؤخّر» تشبيهاً بقوله:**

فـــاليَوْمَ أشْـــرَبْ غَيْـــرَ مُسْـــتَحْقِبٍ

يريد: [أشربُ] غيرَ مستَحْقبٍ، فسكّن الباء وهذا الإسكان إنما هو إشمام لا سكون خالص ولا ضمٌّ خالص" (ص ١٤٧).

واستشهد النحاس بالبيت الشعري لشرح قضايا صوتية وصرفية كالتخفيف والإبدال والإدغام في ألفاظ البيت المشروح، كقوله في البيت الخامس لزهير في شرحه لفظة «الأثافي» قائلاً: "**التخفيف أكثر في كلام العرب في أثافٍ وإنْ كان الأصل التثقيل لكثرة استعمالهم إيّاها. قال ذو الرمة:**

وهـــلْ يَرْجِـــعُ التســـليمُ أو تكشِـــفُ العَمَـــى ثـــلاثُ الأثـــافي والرّســـومُ البلاقِـــعُ

قال أبو جعفر سمعتُ محمد بن الوليد يقول ما رأيتُ أحداً يروي أثافي سفعاً إلا بالتخفيف ثم سمعتُ أبا الحسن عليّ بن سليمان يُنكر هذا ويقول الوجه التثقيل لأنه الأصل والوزن فيه مستقيم" (ج ١، ص ١٠١).

- الإشارة إلى أسماء الأعلام وشرحها: وذلك قليل عند الشراح، ومن أمثلته أن الزوزني أراد توضيح أسماء الجبال التي أشار إليها لبيد في قصيدته (الغول، الرجام، الريّان) في البيتين الأول والثاني، فقال: "**الغول والرجام: جبلان معروفان ومنه قول أوس بن حجر:**

زَعَمـــتُمُ أنَّ غَـــولاً وَالرِّجـــامَ لَكُـــم وَمِنعَجـــاً فَـــاذكُروا وَالأمـــرُ مُشـــتَرَكُ

... الريّان: جبل معروف، ومنه قول جرير:

يـــا حَبَّـــذا جَبَـــلُ الرَّيَّـــانِ مِـــن جَبَـــلٍ وَحَبَّـــذا ســـاكِنُ الرَّيَّـــانِ مَـــن كانـــا"

(الزوزني، ص ٩١)

ونلاحظ أن مثل هذه الإشارات في شرح الخطيب في ثلاثة مواضع فقط كما أنه ورد في موضع واحد من شرح النحاس حيث يشير النحاس في شرح البيت الأول للأعشى في شرح اسم «هريرة» إلى «خُليد» بقوله : "**قال أبو عبيدة: هريرة قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قيس بن حسان بن ثعلبة بن عمرو بن مرثد فولدت له خُليداً وقد قال في قصيدته: جهلاً بأمِّ خُلَيْدٍ حَبْلَ منْ تَصِلُ**" (النحاس، ج ٢، ص ١٢٩). والجدول التالي يُظهر عدد الأبيات المستشهد بها في شرح كلّ قصيدة:

عدد الأبيات المستشهد بها في شرح كل معلقة عند كل شارح

المعلقة	الشيباني	النحاس	الزوزني	الخطيب
امرؤالقيس	٢٣	٢٦		٣١
طرفة	٩	٢٤		١٢
زهير	٨	١٦		٨
لبيد	٣	٣٣		٩
عنترة	٨	٤١		٧
الحارث	ـ	٢٦		٧
عمرو	ـ	٢٢		٣
الأعشى	٣	١٤		٢
النابغة	ـ	٥		١
عبيد	٢	ـ		٣
المجموع (٩)	٥٦	٢٠٧	٦٨	٨٣

والجدول التالي يوضح عدد الأبيات المستشهد بها في كلّ من الأغراض التي أشرنا إليها سابقًا:

أغراض الاستشهاد بالأبيات وعددها عند كل شارح

غرض الاستشهاد بالأبيات	الشيباني	النحاس	الزوزني	الخطيب
شرح الألفاظ الصعبة	٢٨	١٢٠	٢٥	٢٦
بيان قضية نحوية	١٩	٥٠	١٨	٢٦
تأكيد المعنى	ـ	١١	٤	١٢
توضيح مسألة صرفية	ـ	١٠	١٠	٥
بيان العيوب الشعرية		٦	٢	ـ
توضيح عادات العرب اللغوية	٤	٤	٣	٤
شرح نكتة بلاغية	ـ	٣	٤	ـ
آداب العرب	ـ	٢	ـ	ـ
توضيح اسم العلم	ـ	١	٢	٣
بيان الحادثة التاريخية	٥	ـ	ـ	٧
المجموع (٩ أغراض)	٥٦	٢٠٧	٦٨	٨٣

أما النقاط الهامة التي عثرنا عليها بالتأمل في الجدولين والشواهد الشعرية في الشروح فهي:

ـ لم يهتم الشيباني اهتماماً بالغاً بقائلي الأبيات المستشهد بها في شرحه، وفي ٣٦ موضعاً من استشهاداته بالأبيات الشعرية لم يُشر إلى اسم القائل وهذا العدد يشكل ٢٨/ ٦٤٪ من الأبيات المستشهد بها، ولكنه أشار إلى أسماء الشعراء ومن بينها أسماء الشعراء الجاهليين كـ«الأعشى» (١٨ ، ٦١)، «امرئ القيس» (١٣٩ ، ١٥٠ ، ٢٩٣)، «الشماخ» (١٦٨)، «حاتم» (١٢٨)، «طرفة» (٧٠)، «عنترة» (١٨٠)، «الربيع بن زياد العبسي» (٢٤٦)، «الأفوه الأودي» (١٩٣).

وأسماء المخضرمين كـ«حسان» (٢٤٧)، «الحطيئة» (٢١٩)، «سُحيم بن وثيل» (٢٨٩). ومن بين الشعراء الإسلاميين استشهد فقط ببيتٍ لـ«عمر بن أبي ربيعة» (١٧٣).

ـ ذكر ـ في الغالب ـ البيت كاملاً واكتفى في بعض الأحيان (سبعة مواضيع) بذكر شطر واحد منه.

ـ لم يستشهد أبو عمرو في شرح معلقة النابغة ومعلقة عمرو بن كلثوم ببيت شعري.

ـ نظراً إلى أن أبا عمرو لم يشرح معلقة عبيد بن الأبرص فالبيتان اللذان استشهد بهما في هذه المعلقة هما في بيانه سبب إنشاد القصيدة في المقدمة التي ذكرها؛ السبب الذي يشبه الأسطورة ولكن أبا عمرو نقلها دون أي نقد أو توضيح، ولا نعلم هل ذهب هو بنفسه إلى هذا الأمر وصدّق السبب أم لا؟

ـ عدد الأبيات المستشهد بها في شرح النحاس «٢٠٧» أبيات، والعجيب أن عدد الأبيات المستشهد بها في شرحه أقل من عدد الآيات أي «٢٧٠» آية.

ـ لم يهتم النحاس اهتماماً بالغاً لقائلي الأبيات المستشهد بها في شرحه، ومع أن بعض الأبيات للشعراء المعروفين وحتى من أصحاب المعلقات لكنه لم يُشر إلى اسم الشاعر وهذا إما لإهماله وعدم اهتمامه بذكر اسم الشاعر وإما لشهرة البيت وقائله (النحاس، ج ٢، ص ٥٤)، وهذا لا يعني أنه لم يذكر اسم قائل البيت في كلّ شواهده، بل أشار إلى أسماء الشعراء ومن بينها أسماء الشعراء الجاهليين كـ«الأعشى» (١: ٥٠، ٥٦، ٥٨، و ٢: ٣٦، ١٠، ٥٢، ٥٤)، و«زهير» (١: ٥، ١٧، ٥٦، ٧٩، ١٢٩، ١٣٧، ١٥٨، ١٧٧و ٢: ٢٦، ٤٣، ٨١ ، ١١٢)، و«امرئ القيس» (١: ٢١، ١٣٧، ١٠٤، ١٤٣، ١٥٧، و٢: ٧، ٢٩، ١١٧)، و«النابغة» (١: ١٦٦و ٢: ٦٥)، و«ثعلبة بن صُعير» (١: ١٦٦)، و«الشماخ» (٢: ٢٥)، و«لبيد» (٢: ٦٦)، و«طرفة» (٢: ٧٤)، و«عنترة» (٢: ٩٠)، وأسماء المخضرمين كـ«خفاف بن ندبة» (١: ٦٤)، و«حسان» (١: ٨٦، ١٤٩، و ٢: ٢٨، ٩٠)، و«الحطيئة» (٢: ٩، ١٣٧)، و«رؤبة» (٢: ٤٢)، و«النابغة الجعدي» (١: ٢٦)، وأسماء الإسلاميين كـ«الراعي» (١: ١١)، و«العجاج» (١: ٧، ٥، ١٤٣)، و«عمر بن أبي ربيعة» (١: ٤٤)، و«ذو الرمة» (١: ٢١، ٥٨، ١٠١)، و«جرير» (١: ١٢٢)، و«أعشى همدان» (٢: ١٥٩).

ـ كان معظم الشعراء أصحاب الشواهد ينتمون إلى العصر الجاهلي. والشاعر الذي له حاز الرتبة الأولى في ذكر اسمه في شرح النحاس هو «زهير» ـ الشاعر الجاهلي وأحد أصحاب المعلقات ـ وذلك باستشهاد النحاس بشعره ١٢ مرة، ونلاحظ أنه لم يستشهد بشعر النساء الشاعرات في شرحه، كما أنه لم يستشهد بشعر المولدين والمحدثين قط.

ـ ذكر ـ في الغالب ـ البيت كاملاً واكتفى في بعض الأحيان (١٨ موضعاً) بذكر شطر واحد منه.

ـ الشواهد غير المنسوبة إلى قائليها في شرحه تشكل النسبة الأعلى بالقياس إلى الشواهد المنسوبة وقد استشهد بـ١٣٤ بيتا من الشعر المستشهد به وأهمل نسبة شاعره ونسبتها المئوية هي ٧٣/ ٦٤٪.

ـ عدد الأبيات المستشهد بها في شرح الزوزني ٦٨ بيتاً، فعددها أكثر من عدد الآيات المستشهد بها (٤٩)، وهذا لا يعني عدم اهتمامه *بالقرآن الكريم*، بل يعود إلى أهمية الشعر نفسه عند العرب وسرعة حفظه، وانتشار تداوله، إذ كان الشعر ديوان العرب.

ـ شواهد الزوزني ـ مع كثرتها ـ تُنسب لقائليها في كثير من الأحيان، وقد أشار إلى قائلي الأبيات في ٣٨ بيتاً نسبتها المئوية ٨٨/ ٥٥٪.

ـ لم يستشهد الزوزني ببيت شعري في شرحه لمعلّقة عمرو بن كلثوم ومعلقة الحارث بن حلّزة.

ـ استشهد الزوزني بشعر أصحاب المعلقات كالأعشى (٧، ١٣)، والنابغة (١١)، ولبيد (٧٠)، وعنترة (١٥)، وطرفة (١٣٨)، وامرئ القيس (٧٥، ٧٧)، وزهير (٣٧)، وعمرو بن كلثوم (٣٩).

ـ استشهد الزوزني بأبيات للشعراء الإسلاميين منهم: جرير (٩١، ١٥)، والفرزدق (١٦)، والأخطل (٤٠، ١٦، ١٣٧)، وجميل بثينة (١٢)، والعجاج (٢٦، ١٤٠)، وإبراهيم بن هرمة (١٤٤)، وذوالرمة (١٧)، وبالشعراء المخضرمين كحسان (١٦، ٦٤)، وعمرو بن معديكرب (٣٣، ٧٧).

ـ استشهد الزوزني بشعر النساء الشاعرات كليلى الأخيلية (١٢).

ـ استشهد الزوزني بأشعار الذين لم يشتهروا بشعرهم وبشاعريتهم كالعباس عمّ النبي ﷺ (٢٦).

ـ استشهد الزوزني بأشعار الشعراء الذين أنشد النحويون شعرهم في كتبهم وذكر أسماء هؤلاء النحاة حيناً كسيبويه (٨٠)، والفراء (٢٤، ٣٠)، ويعقوب (٨٠) ولم يذكر أسمائهم حيناً آخر وقال: "أنشد النحويون" (١٣، ١٤، ٩٧).

ـ ذكر الزوزني ـ في الغالب ـ البيت كاملاً واكتفى في بعض الأحيان (٧ مواضع) بذكر شطر واحد منه.

ـ في شرح الخطيب عدد الأبيات المستشهد بها في الغرضين؛ شرح الألفاظ الصعبة وتوضيح النحو وقضاياه متساوٍ وهو ٢٦ بيتاً، ونظراً إلى تساوي عدد أبيات الشواهد في اللغة والنحو، وإلى أن الاختلاف بين عدد أبيات الشواهد في النحو واللغة وبين سائر الأغراض عدد يلفت الانتباه يمكننا القول بأن شرح الخطيب ذو منحى لغوي ونحوي.

ـ كان معظم الشعراء أصحاب الشواهد عند الخطيب ينتمون إلى العصر الجاهلي. والشاعران اللذان سبقا الآخرين في توفّر اسمهما في شرح الخطيب هما امرؤ القيس والأعشى، فاستشهد الخطيب بشعرهما ثلاث مرات.

ـ ذكر الخطيب في الغالب البيتَ كاملاً واكتفى في بعض الأحيان (١٣ موضعاً) بذكر شطر واحد منه.

٣ـ ٤ـ الأمثال العربية

أما الأمثال العربية فلم يكن لها بوصفها جزءاً من كلام العرب نصيب واف في شروح المعلقات، إذ نجد الشراح قلّما يستشهدون بالأمثال في شرح المعلقات. ولا يزيد عدد الأمثال المستشهد بها في شروحهم على عدد أصابع اليد وكلها في شرح الألفاظ.

وقد استشهد الشيباني بالأمثال في ثلاثة مواضع من شرحه وكان كلّها في المواضيع اللغوية، فقال مثلاً في شرح البيت الـ٣٤ لطرفة:

وَصـــادِقَتا سَـــمعِ التَّـــوَجُّسِ لِلسُّـــرى لِهَجـــسٍ خَفِـــيٍّ أو لِصَـــوتٍ مُنَـــدَّدِ

"وقيل للنهر سري، سمي بهذا لأن النهر يسري فيه الماء، قال المبرد خص النهر بهذا الاسم من قولهم: «خير المال عين ساهرة لعين نائمة» (الميداني، ٢٠٠٣م، رقم ١٣٠٢) أي لا تنام وإن نِمتَ عنها" (ص ٥٤).

وقال النحاس في شرح مفردة «السعدان» في البيت الـ٣٣ للنابغة:

الواهِبُ المِائَةَ الأبْكارَ زَيَّنَها سَعدانُ توضِحَ في أوبارِها اللِّبَدِ

"**السعدان: نبتٌ تَسمن عليه الإبل وتغزرُ ألبانُها ويطيب لحمُها فيما يقال وفي المثل: «مرعى ولا كالسَّعدان»**" (ج ٢، ص ١٧٠)، ويُضرب مثلاً للشيء يَفْضُل على أقرانه وأشكاله (الميداني، ٢٠٠٣م، المثل رقم ٣٨٣٦).

واستشهد الزوزني في شرحه بمثلين فقط: الأوّل: "**الْحُمَّى أَضْرَعَتْنِي لَكَ**" **في شرح مفردة «أضرع» في قول الشاعر الحارث** (ص ١٦٢):

مَلِكٌ أضرَعَ البَرِيَّةَ لا يو جَدُ فيها لِما لَدَيهِ كِفاءُ

"**قال أبو عبيد: يضرب هذا في الذل عند الحاجة تنزل**" (الميداني، ٢٠٠٣م، المثل ١٠٩٠).

والثاني: "بَيِّنَ الصُّبْحُ لِذِي عَيْنَيْنِ" لشرح المفردة أيضاً في البيت الـ١٠ للبيد:

فَوَقَفتُ أسألُها وَكَيفَ سُؤالُنا صُمّاً خَوالِدَ ما يَبينُ كَلامُها

هذا المثل يُضرب لأمر يظهر كلَّ الظهور (المصدر نفسه المثل ٢٨٦٣). قال الزوزني: "**يبين: يظهر، بان يبين بياناً وأبان قد يكون بمعنى أظهر ويكون بمعنى ظهر، وكذلك بيّن وتبيّن قد يكون بمعنى ظهر وقد يكون بمعنى عرف، واستبان كذلك، فالأوّل لازم والأربعة الباقية قد تكون لازمة وقد تكون متعدّية وقولهم: بيّن الصبح لذي عينين أي ظهر فهو لازم هنا**" (ص ٩٤).

ولم يستشهد الخطيب التبريزي بالأمثال العربية إلا في موضعين من شرحه:

الأول: في شرح البيت الخمسين لامرئ القيس:

ووادٍ كَجَوفِ العَيرِ قفرٍ قَطَعْتُهُ بِهِ الذِّئبُ يَعْوي كَالخَليعِ المُعَيَّلِ

واستشهاده هذا كان في شرح عبارة «جوف العير»، مشيراً إلى القولين اللذين وردا في شرحه بقوله: "**فيه قولان: أحدهما: أن جوف العير لا ينتفع منه بشيء، يعني العير الوحشيّ، والقول الآخر: أن العير هنا رجل من العمالقة، كان له بنون ووادٍ خصيب، وكان حسن الطريقة فسافر بنوه في بعض أسفارهم فأصابتهم صاعقة فأحرقتهم، فكفر بالله وقال: لا أعبد رباً أحرق بنيَّ وأخذ في عبادة الأصنام، فسلط الله على واديه ناراً ـ والوادي بلغة أهل اليمن يقال له: الجَوف ـ، فأحرقته فما بقي منه شيء وهو يضرب به المثل في كلّ ما لا بقية فيه**" (ص ٦٣). والمثل في *مجمع الأمثال* هو: أخلى من جوف الحمار، أو أخلى من جوف العَير (الميداني، ٢٠٠٣م، المثل ١٣٦٤).

والثاني: في شرح البيت الـ٣٣ لطرفة:

وَصادِقَتا سَمعِ التَّوَجُّسِ لِلسُّرى لِهَجسٍ خَفِيٍّ أو لِصَوتٍ مُنَدَّدِ

في شرح لفظة «السرى» واستطرد إلى اللغات في هذه اللفظة واستشهد بهذا المثل قائلا: "**من قولهم: «خير المال عينٌ ساهرة لعينٍ نائمة» (الميداني، ٢٠٠٣م، المثل ١٣٠٢) أي لا تنام وإن نمتَ عنها**" (ص ١٠٠).

ويُلاحظ أن كلا الاستشهادين بالمثل في شرح الخطيب لشرح الألفاظ والمفردات فقط.

الخاتمة:

تبيّن لنا من خلال البحث عن الشواهد في الشروح الأربعة الشهيرة للمعلقات نقاط تالية:

١. المتأمل في منهج شراح المعلقات يدرك أهمية الشاهد بأنواعه المختلفة ودوره الخطير في إثبات وشرح ما ذهب إليه الشراح من مسائل نحوية، لغوية، وبيان جمالية المعلقات.

٢. استشهد شراح المعلقات بالشواهد من مصادر مختلفة؛ هي: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي، والأمثال.

٣. كانت الشواهد في شرح المعلقات لأغراض مختلفة منها: شرح الألفاظ الغريبة، تأكيد المعنى، توضيح قضية نحوية أو صرفية، بيان مسألة بلاغية، الإشارة إلى قضايا صوتية وعروضية.

٤. استخدم الشراح الشواهد في بعض الأحيان قاصدين إلى كشف الجوانب الفنية والأبعاد الدلالية لأبيات المعلقات.

٥. الاتساع في مجال الاستشهاد لدى الشراح هو الذي أتاح للشاهد في شروحهم التنوع والتمايز.

٦. شواهد الحديث وإن لم تخل شروح المعلقات منها جاءت في موضوعات أقرب إلى التعبير اللغوي منها إلى التركيب النحوي أو البلاغي، ولعل موقف الشراح يقرب من منهج النحاة.

❁❁❁

المصادر والمراجع

❁ القرآن الكريم

١. ابن الأثير، مجد الدين المبارك بن محمد. (١٩٧٠م). ***جامع الأصول في أحاديث الرسول***. (تحقيق عبد القادر الأرنؤوط). د.م: مكتبة الحلواني ـ مطبعة الملاح ـ مكتبة دار البيان.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٠٨م). ***لسان العرب***. ٨ج. (نسقه وعلق عليه علي شيري). بيروت: دار إحياء التراث.

٣. البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٨٧م). ***الجامع الصحيح المختصر***. تحقيق مصطفى ديب البغا. اليمامة ـ بيروت: دار ابن كثير.

٤. البكاء، محمد عبد المطلب. (١٩٩٠م). ***منهج أبي سعيد السيرافي في شرح كتاب سيبويه***. د.م: دار الشؤون الثقافية العامة.

٥. البيهقي، أحمد بن الحسين. (١٣٤٤هـ). ***السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي***. حيدر آباد: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة.

٦. التهانوي، محمد علي الفاروقي. (١٩٦٣م). ***كشاف اصطلاحات الفنون***. (تحقيق لطفي عبد البديع). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

٧. الجزري، المبارك بن محمد. (١٩٧٩م). ***النهاية في غريب الحديث والأثر***. (تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي). بيروت: المكتبة العلمية.

٨. الجنابي، أحمد نصيّف. (١٤٠٠هـ). «أصالة النحاس في شرح القصائد التسع». ***المجمع العلمي العراقي***. العدد الـ٣١. ص ١٤٢ـ ١٦١.

٩. الحديثي، خديجة. (١٩٨١م). ***موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث الشريف***. بغداد: دار الرشيد للنشر.

١٠. الخطيب التبريزي، يحيى بن علي. (١٩٩٧م). ***شرح المعلقات العشر***. (تحقيق فخر الدين قباوة). دمشق: دار الفكر.

١١. الزبيدي، كاصد ياسر. (٢٠٠٤م). ***منهج الشيخ أبي جعفر الطوسي في تفسير القرآن الكريم دراسة لغوية نحوية بلاغية***. بغداد: بيت الحكمة.

١٢. الزوزني، الحسين بن أحمد. (١٩٦٣م). ***شرح المعلقات السبع***. بيروت: دار صادر ـ دار بيروت.

١٣. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٨٨م). ***الإتقان في علوم القرآن***. (تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم). بيروت: المكتبة العصرية.

١٤. الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرار. (٢٠٠١م). ***شرح المعلقات التسع***. (تحقيق عبد المجيد همّو). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

١٥. العطوي، عويض ابن حمود. (١٤٢٥هـ). «منهج التعامل مع الشاهد البلاغي بين عبد القاهر وكل من السكاكي والخطيب القزويني». ***مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها***. المجلد الـ١٨. العدد الـ٣٠.

١٦. الطبراني، سليمان بن أحمد. (١٩٨٣م). ***المعجم الكبير***. (تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي). الموصل: مكتبة العلوم وحكم.

١٧. المقدسي، محمد بن طاهر. (١٩٩٦م). ***ذخيرة الحفاظ***. (تحقيق عبد الرحمن الفريوائي). الرياض: دار السلف.

١٨. الميداني. أبوالفضل. (٢٠٠٣م). ***مجمع الأمثال***. (تحقيق وشرح للدكتور قصي الحسين). بيروت: دار ومكتبة الهلال.

١٩. النحاس، أحمد بن محمد. (د.ت). ***شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات***. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٠. النيسابوري، محمد بن إبراهيم بن المنذر. (١٩٨٥م). ***الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف***. (تحقيق أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف). الرياض: دار طيبة.

٢١. الهيثمي، ابن حجر. (١٩٩٩م). ***الزواجر عن اقتراف الكبائر***. صيدا ـ بيروت: المكتبة العصرية.

٢٢. بديع يعقوب، إميل. (١٩٩٢م). ***المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية***. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٣. دويكات. جهاد محمد إحميد. (٢٠٠٠م). ***أثر المعلقات العشر في النحو العربي***. (رسالة الماجستير). جامعة النجاح الوطنية بنابلس. كلية اللغة العربية وآدابها.

٢٤. سعيد الكرمي، حسن. (١٩٩١م). **الهادي إلى لغة العرب**. بيروت: دار لبنان للطباعة والنشر.

٢٥. طبانة، بدوي. (١٩٥٨م). ***معلقات العرب دراسة نقدية تاريخية في عيون الشعر الجاهلي***. بيروت: دار الثقافة.

٢٦. عبد المقصود، عبد المقصود محمد. (٢٠٠٦م). ***منهج أبي البركات الأنباري في إعراب القرآن؛ في كتابه البيان في غريب إعراب القرآن***. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی